

جمال الحياة.. حقيقة أم خيال؟

سليمان حامد الصحفي



كثيراً ما نسمع عبارة "الحياة جميلة".. ونجد الناس ينقسمون حيالها إلى فريقين، فريق يؤيدها ويؤكددها ويعبر عن سروره وسعادته بما حوله من نعم وخيرات وما حققه من نجاحات، بينما فريق آخر يعارضهم ، ويستدل على ذلك بما في الحياة من متاعب ومشاق وما يكتنفها من آلام وأمراض ومنغصات كثيرة وربما استشهد بقول الله تعالى: "لقد خلقنا الإنسان في كبد" والكبد هو التعب والمشقة، فأَي الفريقين على حق يا ترى؟ هل الحياة حقيقة جميلة أم أن هذا ضرب من ضروب الخيال فالحياة كلها غناء؟!!

الحقيقة أن جمال الحياة ممكن أن يكون حقيقة وممكن أن يكون خيالاً.. فجمال الحياة أو قبحها إنما ينبع من داخل الإنسان لا من خارجه، فالكثيرون يعتقدون أن السعادة تأتي من الأشياء التي حولنا ومن الناس الذين نعاشرهم ومن الأشياء التي نمتلكها، وهذا الاعتقاد الخاطئ هو الذي أدى إلى نتيجة خاطئة في الحكم على الحياة.

إن جمال الحياة ينبع من النفس، والعقل هو الذي يستطيع أن يجعل حياته جميلة عندما يتعرف على نفسه أولاً، فيعرفها على حقيقتها، ويعرف الهدف الذي أوجدت من أجله، والمصير الذي ستؤول إليه ويعرف خالقه الذي بيده زمام الأمور، وأنه لا يقع شيء في هذا الكون إلا بتدبيره وبحكمته ، فلا يحمل الأمور أكثر مما تحتمل وولا يسرف في لوم نفسه وندب حظه والتحسر على ما يفوت من فرص الحياة فيهلك نفسه ويرهقها.

كن شديد الثقة بربك، رؤوفاً بنفسك، صادق نفسك وكن معها أوفى الناس، ولا تبالغ في تحجيم مشاكل الحياة، هوّن على نفسك وتأكد أنك إذا انكسرت فلن يرمم كسرك أحد إلا أنت، وإذا انهزمت لن ينصرك أحد إلا إرادتك، لا تبحث عن قيمتك عند الآخرين وابحث عنها في ضميرك، لا تحمل هم الحياة فإنها لله، ولا تحمل هم الرزق فإنه من الله، ولا تحمل هم المستقبل فإنه بيد الله، فقط احملهما واحداً.. هو كيف ترضي ربك؟، فإنك إن أرضيته رحبت الدنيا والآخرة، ووقتها تكون الحياة حقاً جميلة في كنف الله ومعيبته. فالجزن يرحل بسجدة والفرح يأتي بدعوة، ولن يضيع عند الله خيراً قدمته للآخرين، أو خطوة خطوتها لبيت الله، أو همماً فرجته عن مسلم، أو قلباً مكسوراً أسعدته، أو مسكيناً ساعدته، أو جائعاً أطعمته كن محسناً ولو لم تلق إحساناً، وكن متسماً ولو كنت مهموماً، فبقدر إسعادك للآخرين يسعدك الله، وبقدر رضاك عنه يرضى عنك ويبدل حالك من حال إلى حال خير منه، والله يحب المحسنين.

سليمان حامد الصحفي